ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2026) Vol (17) Issue (3) section (2) : 207-227
DOI: https://doi.org/10.25130/jis.26.17.3.2.11

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية
ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq
ISJ
Islamic Sciences

The Impact of Economic and Social Factors on the Collapse of the Abbasid Caliphate Army
512 - 656 A H - 1118 - 1258 AD

Lecturer Dr. Wejeedah Memdooh Yosif [1]
a) College of Education for Girls ,University of Tikrit , IRAQ.

KEY WORDS:

Caliphate,
Army,
Governors,
Wages .

ARTICLE HISTORY:

Received: 14/12/ 2017

Accepted: 22/1/2018

Available online: 8/4/ 2026

©2022 COLLEGE OF ISLAMIC SCIENCES ISLAMIC SCIENCES JOURNAL , TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

There are several economic and social factors, in addition to the political factors that were formed by the weakness of some of the Abbasid caliphs, and they became fundamental factors in the decline, decline, and disintegration of the Abbasid army. These factors were deeply rooted in the body of Abbasid creativity, which led to its collapse, that is, its weakness and disintegration. Among the economic factors is the secession of the states .

There are several economic and social factors that had a deep impact on the body of the Abbasid Caliphate, which led to its weakness and disintegration, including the separation of states and its impact on the economy of the Caliphate's imports, natural disasters, floods, and the governors' and leaders' monopolization of wealth and fiefdoms. As for the social factors, including living conditions, the high level of prices, the abundance of strife and unrest, the emergence of entertainment and heresy, and the emergence of the Shattar and Fiqar movement, all of these factors. It led to the collapse of the army of the Abbasid Caliphate in (656/512) .

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

[1]– *Corresponding author:* **cismjla@tu.edu.iq**

أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في انهيار جيش الخلافة العباسية (512 – 656هـ – 1118 – 1258م)

م.د. وجيده ممدوح يوسف [a]

a) كلية التربية للبنات , جامعة تكريت, العراق.

الخلاصة:

هناك عدة عوامل اقتصاديه ، واجتماعية ، بالإضافة إلى العوامل السياسية التي تكونت بضعف بعض الخلفاء العباسين فصارت عوامل أساسية في تدهور واضمحلال وتفكك الجيش العباسي، وهذه العوامل كانت ضارباً في جسد الخلاقة العباسية ، مما ادى الى انهيارها أي وضعفها وتفككها ، ومن العوامل الاقتصادية هو انفصال الولايات، هناك عدة عوامل اقتصادية واجتماعية كانت ضارباً عميقاً في جسد الخلافة العباسية أدت إلى ضعفها وتفككها منها انفصال الولايات وأثرها على اقتصاد واردات الخلافة والكوارث الطبيعية والفيضانات واستئثار الولاة والقادة بالثروة والإقطاعات أما العوامل الاجتماعية منها الأحوال المعيشية وارتفاع مستوى الأسعار وكثرة الفتن والاضطرابات وظهور اللهو والزندقة وبروز حركة الشطار والعيارون كل هذه العوامل أدت إلى انهيار جيش الخلافة العباسية عام (٥١٢/656)

الكلمات المفتاحية : الخلافة ، الجيش ، الولاة ، الأجور.

المقدمة

ترتكز الإمبراطوريات والدول على قوى أساسية تكون سببًا في وجودها واستمرارها وقوتها ، فضلًا عن هيبتها بين الدول ، ويشكل الاقتصاد العامل الأهم في استقرار وثروة الدول ، ولا شك أن المعطيات التي تنضح عن الاقتصاد وتؤدي بالنتيجة إلى زيادة تجانس نسيج اللحمة الاجتماعية ، وبذلك فقد تضافرت عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، كانت ضاربة عميقًا في جسد الخلافة مما أدى إلى ضعفها وتفككها ، وللوصول إلى حقيقة الأسباب التي تضافرت في ضعف وانهيار جيش الخلافة العباسية ، استلزم البحث تناول مبحثين تناول المبحث الأول العوامل الاقتصادية وأثرها واردات الدولة ، أما المبحث الثاني فقد اختص بالعوامل الاجتماعية والأحوال المعيشية للمجتمع العباسي في تلك الفترة التاريخية من سنة 512–656هـ/ 1118–1258م ، وإنني بهذا الجهد المتواضع لأرجو مخلصةً أن أكون قد أسهمت في كشف الحقائق الغامضة عن تلك الفترة ، ووضعت لبنة في صرح مكتبتنا التاريخية لعله يستفيد منها من هو مهتم بتاريخ أمتنا العربية الإسلامية .

المبحث الأول

العوامل الاقتصادية

أولًا : انفصال الولايات وأثره الاقتصادي على واردات الخلافة .

نتيجةً للسيطرة الأجنبية (السلجوقية بشكل خاص) ولفترة طويلة من الزمن فقدت الخلافة العباسية وخاصةً في عصرها الأخير سيادتها على معظم أقاليمها ومرد ذلك ما آل إليه جيش الخلافة من ضعفٍ ووهن أفقدتها سلطتها على كثير من البلاد فاقتصر نفوذ الخلافة الفعلي بعد تحررها من التسلط السلجوقي على المناطق الممتدة من أقصى الكوفة إلى حلوان ، ومن تكريت إلى عبادان[1]، وقد اتبعت الخلافة النظام المركزي في إدارة ولاياتها ، إلا إن الخليفة غالبًا ما كان يعهد إلى ولاته معظمهم من المماليك سلطة الحرب والخراج[2] ، أو تقطع ولاية أو أكثر إلى المتنفذين في الخلافة وأغلبهم من مماليك الخليفة

---

[1] الحياة السياسية ، في العراق في العصر العباسي الأخير 512–656هـ / 1118م – 1258م ،القزاز محمد صالح داود ، ص 121–122 .

[2] الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ،ابن الساعدي ، علي بن أنجب البغدادي ، (ت674هـ) ، ، تحقيق : مصطفى جواد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية (بغداد ، 1934) ، 9 / 186 ؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة =

أيضًا وقادة الجند ، على أن يدفعوا لخزينة الخلفاء مبلغًا معينًا من المال[1] ، وهي أشبه ما تكون بالضمان ، ومما يؤسف إن المصادر التاريخية لم تذكر وبشكل جلي وواضح علاقة هذه الولايات بالمركز على الأقل من الناحية الاقتصادية ، وما مقدار المدخولات السنوية التي تزد بها خزينة الخلافة المركزية ، كما لم يرد شيئًا عن حجم مالية الخلافة في هذا العصر ، ولا مقدار واردات الخلافة التي كانت تعتمد بالدرجة الأساس على الضرائب الشرعية.

وعلى العموم فقد اعتمدت الخلافة في إيراداتها بشكل أساسي على الضرائب وبشكل أساسي ضريبة الجزية[2] ، وهي ضريبة الرأس التي تجبى من أهل الذمة ، وكان مقدارها ثابتًا ، وقد جبيت في هذا العصر بالدينار ، وكانت فئتها دينارًا واحدًا على الفقراء ، ودينارين على متوسطي الحال وأربعة دنانير على الأغنياء[3] ، ويتولى ديوان الجوالي مسؤولية استيفاء هذه الضريبة[4] ، وهناك ضريبة الخراج ، أي : ما يوضع على رقاب الأرض من صنوف تؤدي عنها[5] ، وتؤخذ من الأراضي الصالحة للزراعة ، لقاء استغلالها باعتبارها إنها ملك الخلافة ، وتمت جباية الخراج في هذا العصر عن طريق الإقطاع والضمان[6].

وفريضة الزكاة التي تجبى مرةً واحدة في السنة من أغنياء المسلمين، وتوجب على الزروع والثمار والمواشي والذهب والفضة وعروض التجارة[7] ، ولا تشكل الزكاة موردًا رئيسيًا للخلافة ؛ لأن الناس كانوا

= في المائدة السابعة ، ابن الفوطي ، أبو الفضل عبدالرزاق البغدادي ، (ت ، 723هـ) ، تحقيق : مصطفى جواد ، مطبعة الفرات (بغداد ، 1351هـ) ، ص215 .

[1] الجامع المختصر ، ابن الساعدي ، 293 ؛ الحوادث الجامعة ،ابن الفوطي ، ص215.

[2] الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ) ، نشر : مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، ط3 ، (القاهرة ، 1973 ، ص142 ؛ صبح الأعشى في صناعة الأنشا ،القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ) ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1987) ، 3 / ص458 .

[3] الحوادث ، ابن الفوطي ، ص 8 ، 69 – 70 .

[4] الحوادث ، ابن الفوطي ، ص7 ، 13 ، 45 ؛ نهاية الإرب في فنون الأدب ، النويري ، شعاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت 732هـ) ، دار الكتب المصرية (القاهرة 1949) ، 8 / 242–243 .

[5] الاحكام السلطانية، الماوردي ، ص146 .

[6] الحوادث، ابن الفوطي ، ص227–265 .

[7] الاحكام ،الماوردي ، ص113 ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الغزالي ، أبو حامد محمد بن حامد ، (ت 505هـ) ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، 1951–1953 ، ق1 ، 8 / ص231 .

يقومون بإخراجها بأنفسهم ويتصدقون بها[1]، وعشور التجارة فتفرض على أموال وعروض أهل التجارة الذين يقدمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام[2]، والتركات وهي الأموال التي تحصل عليها الخلافة من الأشخاص الذين لا وارث لهم فتصبح ملكًا لها[3] ، فكانت تمثل موردًا آخر من موارد الخزينة [4] علاوةً على ما كانت تفرضه الخلافة من ضرائب ، كضرائب البيع والمرور والمصادرة[5]، وما يقدمه الأمراء والولاة للخلافة من أموال وهدايا في المناسبات المختلفة[6] ، وتقوم الخلافة من خلال هذه الأموال المستحصلة بالإنفاق على مصالحها وبالذات قواتها العسكرية[7] وعلاوة على ما تبذله للمجهود الحربي من من خلال تحصين المدن وبناء على أسوارها وحفر خنادقها[8] ، فإنها تقوم بتسديد رواتب الموظفين والعمال[9]، وتتفق الخلافة على اعمار المدارس والمستشفيات والأضرحة ودور العبادة وإقامة الجسور

---

[1] مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، سبط ابن الجوزي ، أبو المظفر شمس الدين بن قزأ وعلي ، (ت 654هـ) ، ، حيدر آباد الدكن ، (الهند 1951 – 1953) ، ق1 ، 8 / 231 .

[2] المبسوط ، السرخس ، شمس الدين ، (ت 483هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1324هـ ، 2 ، ص199 .

[3] مرآة الزمان ، سبط ابن الجوزي ، ق2 ، 2 / ص573هـ ؛ صبح الأعشى ، القلقشندي ، ، 4 / ص460 .

[4] الجامع ، ابن الساعدي ، 9 / ص107 ؛ العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، الغساني ، الأشرف عماد الدين أبو العباس اسماعيل (ت 803هـ) ، تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم ، دار البيان (بغداد ، 1975) ، ص 528–529 ، 596–597 ؛ الحوادث ، ابن الفوطي ، ص 229 ، 269 ، 305 ، 306 .

[5] النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ،ابن دحية ، بن أبو علي الحسن بن علي (ت 633هـ) ، مطبعة المعارف (بغداد ، 1946) ص ، 158 ؛ الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، 512 – 656هـ ، 1118 – 1258م ،القزاز ، محمد صالح داود ، ، ص 134 – 135 .

[6] الحوادث ، ابن الفوطي ، ص165 .

[7] مختصر التاريخ ، ابن الكازوري ، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي ، (ت ، 697هـ) ، تحقيق : مصطفى جواد جواد ، مطبعة الحكومة ، (بغداد 1970) ، ص220 .

[8] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبو الحسن ، (ت ، 597هـ) ، ، ، حيدر آباد الدكن (الهند ، 1959) 10 / ص78 ، 84 ، 95 ؛ الحوادث، ابن الفوطي ، ، ص 110 – 111 ، 198 – 210 .

[9] المنتظم ،ابن الجوزي ، 10 / ص 52 ؛ خلاصة الذهب المسبوك مختصر سير الملوك، الأربلي ، عبدالرحمن سنيط قنيتو (ت ، 717هـ) ، تص : مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، 1964) ، ص287 ؛ العسجد ، الغساني ، ص 315 ، 210 .

والسدود[1]، وتتحمل أيضًا نفقات الحج وتجهيز القوافل بكل ما تحتاجه من مال ومتاع[2] ، كما تخصص تخصص الخلافة نفقات خيرية توزع على الفقراء والمحتاجين خاصةً في شهري رجب ورمضان[3] .

إضافةً إلى ما كانت تتحمله الخلافة من نفقات على الخلع التي كانت تمنح لكبار رجال الدولة وكبار الموظفين وولاة الأطراف في المناسبات المختلفة[4]، ولا يتوفر في المصادر قوائم إجمالية عن واردات الخلافة ونفقاتها ، ليتسنى للباحث تقدير الوضع المالي والاقتصادي للخلافة في هذا العصر .

ثانيًا : الكوارث الطبيعية والفيضانات وأثرها على الخلافة .

لقد تعرض العراق في هذه الحقبة إلى كوارث طبيعية كان لها أيضًا نتائجها الكارثية الفادحة على تلك الأوضاع والتي بكل تأكيد انعكست وبشكل سلبي على الوضع الاقتصادي ، ويمكن أن نعزي ذلك إلى فقدان الخلافة القيادة الإدارية الكفوءة التي تستطيع مواجهة التي تستطيع مواجهة هذه الآثار واحتوائها ومعالجتها قبل استفحالها ، وقد تمثل ذلك بالفيضانات المدمرة ، وانحباس المطر ، وسقوط الثلوج ، والبرد الشديد ، وظهور الآفات الزراعية التي أتلفت المحاصيل[5] ، مما أدى إلى تعذر الأقوات ، وارتفاع الأسعار ، وحدوث المجاعات ، وإنتشار الأمراض[6]، فقد تعرض العراق خلال الفترة من (614 – 654هـ 654هـ / 1217 – 1256م) إلى بضع وعشرين كارثة اقتصادية[7] ، ففي سنة (622هـ – 1225م) وقع وقع الغلاء في الجزيرة الفراتية بشكل كبير[8] ، وفي سنة (624هـ – 1227م)(، أهلك الثلج والصقيع

---

(1) المختصر ، 9 ،ابن الساعدي ، / 229 – 230 ، 258 ؛ الحوادث ، ابن الفوطي ، ص181–187 .

(2) الحوادث ، ابن الفوطي ، ص191 ؛ العسجد ، الغساني ، ص519 – 520 ، 524 .

(3) العسجد ، الغساني ، ص518 ، 531 ، 543 ، 564 ، 594 .

(4) الحوادث ، ابن الفوطي ، ص167 ، 168 ، 202 ، 203 ؛ دول الاسلام ، الذهبي ، الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ، (ت748هـ) ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب (مصر ، 1974) ، 2 149 ؛ العسجد ، الغساني ، ص532 ، 537 ، 406 .

(5) الحوادث، ابن الفوطي ، ص202 ، 267 – 268 ، 273 ، 277 ؛ البداية والنهاية في التاريخ، ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت 774هـ) ، مطبعة السعادة (القاهرة ، 1932) ، 13 / ص161 .

(6) مرآة ، 8 ، سبط ابن الجوزي ، / ص794 ؛ الحوادث ، ابن الفوطي ، ص202–203 ؛ عيون التواريخ الكتبي ، أبو شاكر محمد بن أحمد (ت ، 764هـ) ، تحقيق : فيصل السامر و نبيلة عبد المنعم داود ، دار الحرية (بغداد 1977) ، 2 / ص86 .

(7) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت 630هـ) ، دار صادر (بيروت ، 1965–1966) ، 12 ، ص447 ؛ الحوادث ، ابن الفوطي ، ص202 ، 218 ، 226 .

(8) الكامل ، ابن الأثير ، 12 / ص447 .

الأشجار والثمار وسائر المزروعات والغلات[1] ، وشهدت الفترة من (640هـ – 646هـ /– 1242 – 1248م) حالات من الغلاء والمجاعات بسبب تضرر الأراضي الزراعية نتيجة الفيضانات المدمرة المستمرة[2]، بسبب إهمال الخلافة لأنظمة الري ومنشآتها فخربت السدود وطغت المياه على جانبي الأنهار[3]، وكان من أخطر هذه الفيضانات وأشدها تأثيرًا على بغداد وضواحيها، الفيضانات التي حدثت سن (646هـ – 1249م)[4] و (653هـ – 1255م)[5] ، و (654هـ – 1256م)[6] ، إذ أتلفت الأراضي الأراضي الزراعية، وهدمت الدور والمحال ، فسكن الناس الخيام[7] ، ودام فيضان (654هـ – 1256م) خمسين يومًا غمر نصف أرض السواد ولم تزرع تلك السنة وبقيت خرابًا[8]، ومما ساعد على تفاقم هذه الأوضاع الهجرة الواسعة للفلاحين من القرى والأرياف إلى المدن وخاصةً بغداد ، نتيجةً لفقدان الأمن بعد تكرار الهجمات المغولية ، ففي سنة (647هـ – 1249م) ((وصل الخبر إلى بغداد أن طائفة من المغول كبسوا ايوان خانقين وما يجاورها وقتلوا منها مقتلةً عظيمة ، فجفل الناس من طريق خراسان والخالص ، ودخلوا بغداد))[9]، وفي أثناء غزو هولاكو للعراق ((أجفل أهل السواد من بين يديه إلى بغداد ، حتى امتلأت شوارعها ، فضاقت على سعتها عنهم فقعدوا في الطرقات والداكين، وغلقت الأقوات ، ووقع الناس في الخوف الشديد والويل العظيم))[10].

---

(1) حوادث بغداد في 12 قرن، الورد ، باقر أمين ، مكتبة النهضة ، (بغداد ، 1989) ، ص129 .

(2) ابن الفوطي ، الحوادث ، ص 155 ، 229 ، 233 ، 262 ، 287 ، ؛ البداية والنهاية ، 13 ، ابن كثير ، ص 324 .

(3) فيضانات بغداد في التاريخ ، سوسة ، أحمد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج 10 ، (بغداد ، 1963) ، 1 / ص324 .

(4) الحوادث ، ابن الفوطي ، ص230 – 231 ، ؛ الفيضانات وغرق بغداد في العصر العباسي ،سوسة ، أحمد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العراقي ، مج1 ، (بغداد ،1963) ، 1 / ص 66–67 .

(5) العسجد ، الغساني ، ص 608 – 609 ؛ الحوادث الجامعة ، ابن الفوطي ، ص 277 – 278 .

(6) دول ، 2 ، الذهبي ، ص158 ؛ عيون ، 2 ، الكتبي ، / ص86 .

(7) طبقات الشافعية الكبرى ،السبكي ، تاج الدين ابو نصر ، (ت 771هـ) ، تح : محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (دمشق ، 1970) 8 / ص267 ؛ الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الأليخاني ، الفيل ، محمد رشيد ، مجلة كلية الآداب ، ع6 ، (بغداد ، 1963) ، ص 296 .

(8) جامع التواريخ ، رشيد الدين ، فضل الله أبو الخير عماد الدولة الهمذاني ، (ت ، 718هـ) ، تر : محمد صادق نشأت وآخرون ، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة ، 1960) ، مج2 ، ط1 ، ص262 .

(9) الحوادث الجامعة ، ابن الفوطي ، ص 241 – 242 .

(10) الحوادث الجامعة، ابن الفوطي ، ص322 .

زمن كل الروايات السابقة يمكن أن نستنتج بأن للكوارث الطبيعية ، أثر بالغ في الحياة الاقتصادية ، إذ أدت إلى قلة الإنتاج ، وانخفاض مستوى المعيشة لارتفاع الأسعار وتكرار المجاعات ، وهذا بالطبع أدى إلى قلة واردات الخلافة ، فحصل عجز في خزينتها وانعكس ذلك على الوضع السياسي والعسكري ، مما جعلها عاجزة عن تسديد النفقات الخاصة بمرافق الخلافة ومؤسساتها ، ولعلّ أكثر نتائجها تأثيرًا قد انعكس على موقف الخلافة من جيشها إذ بدت بسبب عجزها المالي غير قادرة على تطوير هذا الجيش وزيادة أعداده ومضاعفة نفقاته ، على الرغم من إن ظروفها والأخطار المحدقة بها كانت تستوجب اهتمامًا بالغًا به ، ولم يقتصر الأمر عند ذلك ، إذ إن الخلافة أبدت عجزًا واضحًا عن تحمل نفقات القوات المتواجدة في الخدمة من خلال تحسين أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية بما ينسجم ويتلائم مع ارتفاع الأسعار في تلك الحقبة، يتضح المستوى الاقتصادي المتدني للجند ، ففي سنة (640هـ – 1242م) بلغ سعر الكرّ من الحنطة بخمسة وخمسين دينارًا وأربعة عشر قيراطًا[1]، إرتفع سنة (643هـ – 1245م) إلى تسعين دينارًا والشعير ثلاثين دينارًا[2] في حين تراوحت رواتب الجند بين خمسة عشر إلى إلى خمسين دينارًا حسب رتبهم وأصنافهم[3]، واستمرت الأسعار في الارتفاع خلال السنوات الأخيرة من خلافة المستعصم بالله ، مع تعذر الأقوات والغلات والمواد الغذائية ، نتيجةً للكوارث الطبيعية وهجرة الفلاحين وأهل الريف إلى المدن لفقدانهم الأمن كما أسلفنا[4]، علاوة على كل ذلك فإن الجند كانوا يعانون من تأخر رواتبهم ، إذ يقول ابن الكازروني[5]: ((إن عساكر بغداد تألموا غير مرة من تأخر معايشهم ، وترددوا إلى الديوان لذلك ، فتارةً تطلق لهم وتارةً يدافعون عنها)) ، فبدأ تذمر الجند من جراء ذلكوثاروا سنة (640هـ – 1242م) مطالبين بزيادة رواتبهم[6] ، وفي سنة (648هـ – 1250م) تمردوا ببغداد ومنعوا ومنعوا الخطيب من القاء خطبة الجمعة بسبب قطع أرزاقهم[7]، وأزاء عدم الاستجابة لمطالبهم ، وتدني

---

(1) العسجد ، الغساني ، ص512 .

(2) الحوادث الجامعة ، ابن الفوطي ، ص 202 ، 218 ، 226 ؛ العسجد ، الغساني ، ص535 – 536 .

(3) الحوادث الجامعة ، ابن الفوطي ، ص50 .

(4) البداية والنهاية ، 13 ، ابن كثير ، / ص161 ؛ الغساني ، العسجد ، ص518 ، 549 ، 546 ، 569 ، 593 ، 600 ، 608 ، 614 ، 616 .

(5) مختصر التاريخ (من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس) ، ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت 697) ، تح : مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، 1970) ، ص207 .

(6) الحوادث ، ابن الفوطي ، ص168 – 169 .

(7) دول الاسلام ، الذهبي ، ص329 ؛ النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، ابن تغري ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، (ت ، 874هـ) ، 12 جزء ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، د ت) ، 7 ، ص20 .

مستواهم المعاشي ، لجئوا إلى ممارسة أعمال أخرى تعويضًا عن النقص في رواتبهم[1]، بينما فضل البعض منهم ترك الخدمة في الجيش العباسي والرحيل إلى جهات وأقاليم أخرى لعرض خدماتهم[2].

ثالثًا : استئثار الولاة والقادة بالثروة والاقطاعات .

وفي الوقت الذي كانت فيه فئات الجند ، تعاني من الفاقة والجوع والحرمان ، كان أمرائهم وقادتهم يتلقون مرتبات عالية ويتمتعون بثروات خيالية ، ، إذ تراوحت راوتبهم بين الألف إلى ستة عشر ألف دينار[3] ، علاوة على أرزاقهم الجارية في كل يوم[4]، وكانت الاقطاعات التي منحها لهم الخلفاء تدر لهم سنويًا مبالغ كبيرة جمعوا من ورائها ثروات هائلة ، نذكر على سبيل المثال أن الأمير علاء الدين الطبرسي الظاهري ، كان يحصل على أقطاعه في قوسان بحدود ثلاثمائة ألف دينار ، وعند زواجه منحه الخليفة المستنصر بالله ، مائة ألف دينار ، ولعلّ درجة رفاهيته تتبين من خلال اهتمامه ببناء العمارات والمتنزهات ، وكانت داره في بغداد لن يكن آن ذاك مثيلًا لها[5]، وإنه وهب من الخيل بين سنة (625هـ – – 1227م) إلى سنة (650هـ – 1252م) حوالي تسعة آلاف وخمسمائة وسبعين فرسًا[6] ، ويذكر أن الأمير مجاهد الدين أبو الميامين أيبك الدويدار الصغير أنه (ملك جزيل الأمور من العين والرقيق والدواب والبساتين مما يتعذر ضبطه على الحساب ... وكان يصل إليه من أقطاعه وأملاكه ومزرعاته زيادةً على خمسمائة ألف دينار)[7]، في حين بلغ وارد اقطاعات فلك الدين محمد سنقر الطويل مائة ألف دينار[8] ، وكذلك الحال بالنسبة إلى بقية الأمراء والزعماء وقادة الجيش الذين منحوا الاقطاعات وتمتعوا بالزيادات والمنح بصورة مستمرة[9] ، وقد مكنتهم ثرواتهم ونفوذهم من الاستحواذ على ضمان الولايات التي كانت

---

(1) طبقات ، 18 ،السبكي ، ص262 ؛ البداية والنهاية ، 13 ، ابن كثير ، ص210 ؛ الحوادث ، ابن الفوطي ، ص315 ، 321 ؛ العسجد ، الغساني ، ص518 – 519 .

(2) جامع التواريخ ، 1 ، رشيد الدين ، / ص282 .

(3) تلخيص ، ق3 ، 4 ، ابن الفوطي / ص434 ، 493 ؛ ، العسجد ،الغساني 537 .

(4) صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ، 821هـ) ، دار الكتب العلمية (بيروت ،بيروت) (1987 ، 4 ، ص51 .

(5) الحوادث ، ابن الفوطي ، ص 264 – 265 .

(6) العسجد ،الغساني ، ص590 – 591 .

(7) العسجد ، الغساني ، ص 633 – 634 .

(8) تلخيص ، ق3 ، 4 ، ابن الفوطي ، / ص537 .

(9) العسجد ، الغساني ص513 ، 575 ، 603 ، ؛ تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، 552 – 656هـ / 1157 – 1258م ، فهد ، بدري محمد ، ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، 1973) ، ص274 ، 280 .

الخلافة تعرضها لحاجاتها إلى الأموال ، وذلك سعيًا منهم لاستثمار وتنمية ثرواتهم الطائلة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، يذكر أن الأمير عماد الدين طغرل بن عبدالله الناصري ، قد ضمن البصرة بمبلغ مائة وخمسة عشر ألف دينار[1] ، وعقد على الأمير فلك الدين أبو الفوارس (ابن الدويدار) ضمان قوسان قوسان بمبلغ مائة وإحدى وعشرين ألف دينار[2].

وعلى الرغم من هذه الثروات والامتيازات فقد حاول بعضهم الاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية ، وامتنعوا عن تسديد حصة الخلافة من الخراج ، فكان لذلك أثر سيء على خزينتها ، ففي سنة (648هـ – 1250م) ((ظهر اختلال المخزن ، وقلة حاصله حتى صارت مهام الخليفة تتعذر عليه في أكثر الأوقات بعدم الحاصل ؛ وذلك بسبب مزارعة أرباب الجهات ، وارتفع حساب الديوان بجملة أموال بقيت في ذمة المزارعين من أرباب الجهات))[3] ، هذا مع جشعهم في ابتزاز الأموال وتنمية الثروات التي أدت بهم إلى اثقال كاهل العامة ((بالمكوس والتقسيطات والمؤن والتكليفات والتأويلات))[4] ، فانشغلوا فانشغلوا في تنمية ثرواتهم ، وامتلاء خزانتهم بالأموال الحرام، لذلك يصفهم قطب الدين الحنفي بقوله : ((مرفهون بلين المهاد ، ساكنون على شط بغداد ، في ظل ثخين ، وماء معين ، وفاكهة وشراب ، واجتماع أحباب وأصحاب ، فما كابدوا حربًا ولا دافعوا طعنًا وضربًا))[5]، ويقول عنهم الغساني[6]: ((اهتموا ((اهتموا بالاقطاعات والمكاسب ، وأهملوا النظر في المصالح الكلية ، واشتغلوا بما لا يجوز من الأمور الدنيوية ... واشتغلوا بتحصيل الأموال)) ، ومن هذا المنطلق تعاملوا مع الجند على اعتبار إنهم يشكلون جزءًا من ممتلكاتهم ، وقد أشار قائد الجيش الشرابي إلى ذلك بقوله : ((إنهم مماليكنا نعمل بهم ما نريد))[7]، واستنادًا لهذا الواقع فقد رفض مطاليبهم في تحسين أوضاعهم المعاشية بقوله لهم : ((معايشكم ما نزيدها ، فمن رضي بذلك يقعد ، ومن لم يرض وأراد الخروج من البلد فنحن لا نمنعه))[8] .

وأمام هذا الواقع الاقتصادي والفساد الإداري الضارب في جميع مفاصل الخلافة ، بدت الخلافة عاجزةً عن توفير الأموال لإدامة جيشها ، وعلى الرغم من وضع الجندي السيء اقتصاديًا بدأت الخلافة

---

(1) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ،ابن الفوطي ، تح : مصطفى جواد ، (دمشق ، 1962 – 1963) ، ق2 ، 4 ، ص742 .

(2) المصدر نفسه ، ق3 ، 4 / ص511 – 512 ، ابن الفوطي ، ؛ العسجد ،الغساني ، ص604 .

(3) العسجد، المصدر نفسه ، ص567 – 577 ، 624.

(4) مختصر ، ابن الكازروني ، ص268 .

(5) عصر الشرابي ببغداد ، معروف ، ناجي ، مجلة الأقلام ، وزارة الثقافة والارشاد ، السنة الثالثة ، ط1 ، (بغداد ، 1966) ، ص10 .

(6) العسجد ، الغساني ، ص 624 .

(7) الحوادث ، ابن الفوطي ، ص268 – 269 .

(8) الحوادث ، المصدر نفسه ، ص 269 – 270 .

بالتضييق عليهم ، فقطعت عنهم أرزاقهم والعلف المخصص لخيولهم[1] ، ونتيجةً لفشلها في تدارك ومعالجة أزمتها الاقتصادية ومحاربة الفساد المالي والإداري في مؤسساتها المختلفة ، فقد زادت من إهمالها لحال الجند ؛ وذلك بتسريح أعداد كبيرة منهم كحل للتخلص من نفقاتهم ، وعلى ما يبدو فان هذا الإجراء قد بدأ بالتفاقم في السنوات الأخيرة من خلافة المستنصر بالله وإلى ذلك يشير ابن خلدون بقوله[2] : ((إن المستنصر بالله لجأ إلى إسقاط الجند من الديوان بعد ان وجد الدولة اختلفت ، ولأعمال قد انتقضت والجباية قد انتقصت أو عدمت فضاقت عن أرزاق الجند واعطياتهم فأسقط كثيرًا من الجند وضاقت الأحوال)) وقد ازداد الأمر سوءًا في خلافة المستعصم بالله ، مما أدى إلى التوسع في إسقاط الجند وقطع أرزاقهم توفيرًا للأموال[3]، وبلغ من عجز الخزينة إلى الحد الذي لم تستطع دفع راتب البقية القليلة الباقية من الجند ، إذ فرضت الخلافة أرزاقهم رسومًا على أهل المهن والأسواق إذ ((ضاقت الأحوال على المستعصم بالله فأسقط أهل الجند وفرضت أرزاق الباقين على البياعات والأسواق والمعايش ، فاضطرب الناس وضاقت الأحوال))[4]، وبذلك لم يعد الجيش يشكل عبئًا على الخلافة فقط ، بل أصبح يمثل عبئًا إضافيًا باهضًا على الناس ، علاوةً على ما تحملوه من ضائقة اقتصادية .

وبسبب تردي أوضاع الخلافة الاقتصادية ، وتدهور الحالة المعاشية لعامة للناس ، وللجند بشكل خاص ، فقد تفككت أوصال جيشها ، ولم يبقى منه سوى أعداد قليلة ورمزية[5]، تعاني الفاقة والعوز وبلغ منتسبيه مستويات تحت خط الفقر حتى استعطى كثيرًا منهم في الأسواق وأبواب الجوامع ، وأصبحوا موضوعًا لقصائد الشعراء وتندرهم ، ويرثونهم ويدون حزنهم على الإسلام وأهله ، بعد أن فقدوا من يدافع عنهم ، ويذود عن الدين والحمى[6] ، ومما لا شك فيه فإن تضعضع الجيش العباسي اقتصاديًا وانعكاسه بشكل سلبي على واقع منتسبيه الذين يشكلون قاعدته العريضة ومعينه الذي لا ينضب ، فإنه يعد البداية الحقيقية لانهيار هذا الجيش حتى قبل حدوث المواجهة مع المغول ؛ لأن ذلك يعد من أهم العوامل التي بدأت تنخر في جسده العليل وعجزه التام عن القيام بواجباته الأساسية .

---

[1] كلش خلف، نظمي زاده ، مرتضى أفندي ، (ت ، 1136هـ) ، تر : موسى كاظم نورس ، مطبعة الآداب (النجف ، 1971) ، ص128 .

[2] السعير في خبر من غبر ، الذهبي ، ، تح : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت ، 1963) ، 3 / 41104 / .

[3] عيون ، 20 ، الكتبي ، / ص 132 ؛ طبقات ، 5 السبكي ، / ص11 ؛ ، النجوم ، 7 ابن تغري / ص48

[4] (تاريخ ابن خلدون) المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ،ابن خلدون ، عبدالرحمن بن بن محمد ، (ت ، 808هـ) ، ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، 1958) ، 3 / ص1105 .

[5] مختصر ،ابن الكازروني ، ص270 ؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي ، أبو حفص زين الدين عمر بن المظفر ، (ت ، 794هـ) ، المطبعة الوجيهية ، (القاهرة ، 1258هـ) ، 2 / ص280 .

[6] البداية والنهاية ، 13 ، ابن كثير / ص200 – 201 .

المبحث الثاني

العوامل الاجتماعية

أولًا الأحوال المعيشية

1. الأجور دخل الفرد :

يتصف المجتمع العباسي في تلك الفترة التاريخية إلى خاصة وعامة ، ويندرج ضمن الفئة الأولى الخليفة وعائلته ، وكبار رجال الخلافة من الوزراء ونحوهم ، وهؤلاء في مقدمة أصحاب الدخول العائلية ؛ لأن لديهم أملاكًا كثيرة[1] ، وقد ذكر المؤرخون كيف كانت للخليفة الناصر لدين الله والخليفة المستعصم بالله المستعصم بالله الأموال الكثيرة ، بحيث ملئوا منها بركةً كبيرة[2]، أما الأمراء والمماليك فكانت دخولهم مرتفعةً أيضًا حيث بلغت في السنة أكثر من خمسمائة ألف دينار[3]، ثم الوزراء ورجال الإدارة إذ كانت دخولهم وأجورهم هي الأخرى مرتفعة وسيطروا على أموال كثيرة ، أما أصحاب الدخول المحدودة فهم طبقة العلماء وأساتذة المدارس والإداريون فيها ، فكانت أجورهم ثابتة وقليلة جدًا قياسًا لِما ذكرناه ، وكانت محصورة بين (33) دينار إلى (144) دينار في السنة ، أما ذووا الدخول الواطئة جدًا فأكثرهم من الفئة الثانية من العامة من الصناع وأهل المهن والفلاحين والفقراء ، وأجورهم قليلة جدًا ، والمعلومات المتوفرة قليلة جدًا أيضًا[4] .

2. مستور الأسعار :

إن ارتفاع الأسعار وانخفاضها يعود إلى جملة أسباب منها التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الخلافة في ظرف معين أو أزمة محتملة ، وقد تكون بفعل ضغط شعبي ، وإصلاحات إدارية[5]، أو

---

(1) تاريخ العراق الاقتصادي ، في القرن الرابع الهجري ، الدوري ، عبدالعزيز عبد الكريم ، دار المشرق ، ط2 ، (بيروت ، 1974) ص 259 .

(2) البداية والنهاية ، 13 ، ابن كثير ، / ص159 .

(3) مرآة الزمان ، ق1 ، 8 / 556 ،سبط ابن الجوزي ، ؛ الجامع المختصر ، 9 ، ابن الساعدي ، / ص293

(4) الأوضاع الاقتصادية للعراق وأثرها في انهيار الخلافة ، العباسية / 575 – 656هـ / 1179 – 1258م ،صالح ، خالد يوسف ، ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية جامعة الموصل ، (الموصل ، 2005) ، ص131 ؛ الأجور والرواتب في العصر العباسي ، نوري ، دريد عبدالقادر ، مجلة المؤرخ العربي ، 324 ، (بغداد ، 1987) ، ص 232 .

(5) خلاصة ، الأربلي ص287 ؛ العسجد ، الغساني ، ص 458 – 461 ؛ تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، 552 – 656هـ / 1157 – 1258م ، فهد ، بدري محمد ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، 1973) ، ص 305 ، 306 ؛ الأوضاع الاقتصادية للعراق ، صالح ، ص 132 .

أو عند حدوث الأزمات الاقتصادية ؛ وذلك عندما تتعرض البلاد إلى ظروف جوية سيئة تؤدي إلى هلاك المزروعات والمحاصيل وتتعذر الأقوات بفعل الفيضانات وظهور الأمراض والأوبئة مما يؤدي إلى ارتفاع زيادة الأسعار[1] .

وكان للعوامل السياسية أثر في حركة السوق ووضع الأسعار ، فكلما كانت الخلافة قوية وتتمتع باستقلال سياسي وإداري واستقرار أمني كلما كانت سيطرتها كبيرة على السوق والأسعار واستقرارها والعكس صحيح.

كما إن للجوانب الصحية تأثيرًا آخر أيضًا ، فعند انتشار الأمراض والأوبئة سيؤدي إلى زيادة الأسعار ، وهذا ما حدث سنة (640هـ – 1242م) ، حيث كثر المرض والموت وتسبب في ارتفاع أسعار المواد الغذائية خاصةً سعر السكر والأدوية ، مما دفع الخليفة المستنصر بالله إلى معالجة ارتفاع الأسعار فتصدق بسكر كثير إلى المرضى[2] .

3. مستوى المعيشة :

بالرغم من إن التدابير التي اتخذتها الخلافة العباسية في عصرها الأخير لرفع المستوى المعاشي لمواطنيها ، إلا إنها لم تستطع من تحسين ذلك الواقع ؛ بسبب ارتفاع الأسعار المستمرة والذي كان سائدًا في معظم المدن العراقية ، مما جعل أكثر الناس فريسةً سهلة للأمراض والأوبئة[3] ، وانعكس ذلك على تناقص أعداد السكان ، وهجرة أعداد كبيرة منهم إلى البادية وبلاد الشام ، وفي هذا العصر يؤكد ابن جبير[4] ، فقدان الجزء الأعظم من سكان بغداد الغربية ، وإن الكفة وسامراء كانتا مهجورتين ، في حين ذكر ياقوت الحموي[5] : ((إن بغداد اختفت منها أحياء بكاملها ، كما تحولت في أيامه كل من قصر ابن هبيرة وجرجرائية على نهر دجلة إلى قرى في حين كانت في السابق مدنًا عامرة بالسكان))

ثانيًا: كثرة الفتن والاضطرابات

لقد كان من أثر ضعف الخلفاء المتأخرين في هذه الفترة ، وتقلص سلطة الوزراء أمام تيار غلمان القصر وأساتذة الدار الجارف ، إن اعتلت الإدارة في دار الخلافة وبدأ العامة يحسون بضعف الحكومة وعجزها عن تسيير دفة الحكم في البلاد ؛ ولذلك نجدهم يستهترون بها فتعم الفتن وتكثر الاضطرابات

---

(1) الأجور والرواتب في العصر العباسي ، نوري ، دريد عبد القادر مصدر سابق ، ص234 .

(2) المنتظم ، 10 ، ابن الجوزي ، ص247 ؛ الحوادث الجامعة ، ابن الفوطي ، ص154 – 155 ، 225 – 226 ، 303 .

(3) ابن كثير 13، البداية والنهاية ، / ص 161 .

(4) التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، اشتور ، تر : عبدالهادي عبله ، مراجعة : غسان ساتو ، دار قتيبة ، (دمشق ، 1985) ص 284 .

(5) رحلة ابن جبير، ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ، (ت ، 614هـ) ، دار صادر (بيروت ، 1964) ، ص 167 – 168 ، 173 ، 179 ، 186 .

فيما بينهم ، وإننا لنعجب حين يذكر لنا ابن الأثير[1] ، عند كلامه على سنة (601هـ) إن ثلاث فتن وقعت في بغداد فيما لا يتجاوز الشهر بين أهالي المحلات المختلفة ثم لا يلبث عجبنا أن ينقلب إلى دهشة حين يذكر لنا السبب في وقوع اثنين منها ، هو أن أهل محلة من المحلات قتلوا سبعًا وأرادوا أن يمروا في المحلة الأخرى فاشتبك بهم أهلها ، وأن الفتنة الثالثة كان السبب فيها أن رجلين من محلتين مختلفتين اختصما وتوعد كل منهما الآخر فاجتمع أهل المحلتين واقتتلوا ، والأدهى من ذلك وأمرّ هو ما ذكره المؤرخ نفسه[2] ، من ان حكومات الخلفاء كانت تتدخل في كل هذه الفتن ، فأحيانًا تطفئها بعد أن يناوئها الأهلون ، وأحيانًا تتركها حتى تسكن من تلقاء نفسها ، ويبدو واضحًا من تصرفات هذه الحكومات ، إنها عاجزة عن إدامة واستتباب الأمن والاستقرار ، ومنع حدوث مثل هكذا فتن قلائل وبالتالي فإنها كانت بالتأكيد عوامل ضعف ووهن تنخر في جسد جيش الخلافة العباسية الذي آل إلى الاضمحلال والانهيار .

ثالثًا : ظهور اللهو والزندقة

اتصف المجتمع العباسي في عصر الخلافة الأخير بحياة اللهو والتمتع بالملذات ، والتأنق بالملبس واقتناء أفخر وأجمل الأثاث ، وابتعد كثيرًا عن التقاليد والأعراف العربية الإسلامية القديمة ، بينما نلاحظ أن المجتمع الأموي أبان الحكم الأموي لم يسرف كثيرًا في حياة الترف والتنعيم ، فكان يقتبس من الأمم التي إتصل بها بما يتفق وذوقه العام من ناحية ، ولا يبعده عن أصوله وتقاليده العربية من ناحية أخرى ، وذلك بعكس المجتمع العباسي الذي أقبل بشراهةٍ وفهم زائد على عادات وتقاليد الأمم الأعجمية، دون ملائمة وبما يتفق وأصوله العربية وواقعه الإسلامي ، فتسابق الخلفاء إلى الانغماس في الترف واللهو ، كما تفننوا في إقامة مجالس الغناء والشراب والرقص والطرب ، ولهذا انساق الرعايا وراء هذه الحياة الماجنة التي خالطها ألوان من الخلاعة والمجون[3]، فأدت هذه الاتجاهات في المجتمع العباسي إلى حياة الزندقة وكثرة الزنادقة الماجنين والملحدين الذين انساقوا إليها على دفعات بادئين بالتهتك ثم الخروج عن الدين إلى الإلحاد ، حتى بدأت الزندقة وحياة الزنادقة متغشية في المجتمع العباسي ، الأمر الذي جعل

---

[1] معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، الامام شهاب الدين أبو عبدالله بن بن عبدالله البغدادي ، (ت ، 626هـ) ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت ، 1975) ، 2 / 123 ؛ مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، ابن عبد حق البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن ، (ت ، 739هـ) ، تح : علي محمد البجاوي ، (مصر ، 1954) ، 3 / ص1101 ؛ التاريخ الاقتصادي ، أشتور : ، ص284 .

[2] الكامل في التاريخ ، 12 ، ابن الأثير، / ص94 .

[3] الكامل في التاريخ ، المصدر نفسه ، 12 / ص94 – 95 ؛ محنة الإسلام الكبرى ، أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على يد المغول ، بدر مصطفى طه ، ، الهيئة المصرية ، العامة للكتاب ، ط2 ، (القاهرة ، 1999) ، ص 136 – 137 .

الخلفاء يلاحقون الزنادقة في كل مكانٍ وآن ، وصارت تهمة الزندقة خطيرة ، وذهب ضحيتها العديد من السياسيين والشعراء والفلاسفة الأدباء وخاصةً في العصر العباسي الأول[1].

رابعًا : بروز ظاهرة الشطار والعيارون

وإذ حظرت الاضطرابات وكثرة الفتن وارتبك الميزان الاقتصادي ، وانفرط الأمن ، ظهر الشطار والعيارون الذين أصبحوا هم أيضًا مصدر خطر وقلق على الخلافة العباسية ، خاصةً وقد تبلورت الطبقة الارستقراطية الزراعية أو السلطوية ، سواء أكانت عربية أو أعجمية ، وقد كان نشاط حركة العيارين والشطار في بغداد من جراء التمايز الطبقي والتباين الاقتصادي الذي كان يزخر به في ذلك الحين المجتمع البغدادي ، حيث كان السلاطين والولاة وقادة الجند والأمراء والأثرياء يعيشون في أقصى درجات الغنى والترف ، على حين كان عامة الشعب من الفقراء والمعدمين والغوغاء وأشباههم من العاطلين وأصحاب الحرف المحقرة يعيشون أقصى درجات الحرمان والفقر المدقع .

فالشطار والعيارون كانوا يمثلون العناصر العربية المسحوقة فإذا بهم في ثوراتهم وانتفاضاتهم المتكررة يمثلون الرفض الثوري ، ضد الخلافة كسلطة وليست كسيادة عربية ، وضد العناصر الأجنبية التي ارتفعت إلى الطبقة الأرستقراطية وصاروا يضطهدونهم ، وأخذ الشطار والعيارون يؤذون الناس جميعًا استفزازًا للسلطة واستفزازًا للناس بعيدًا عن الثورة الكامنة في نفوسهم ، فأخذوا يحاولون انتزاع السلطة من هؤلاء الوزراء وأمراء الجند الأعاجم ، فوصل الحال إلى أن ((الشطار كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذًا شديدًا وأظهروا الفسق وقطعوا الطريق ، وأخذوا النساء والغلمان في الطريق ... وكانوا يسألون الرجل يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر أو يمتنع عليهم ، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى فيكاثرون أهلها ، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع وغير ذلك ، والسلطان يمنعهم ولا يقدر على ذلكم نهم ؛ لأن السلطان كان يعتز بهم ، وكانوا بطانته فلا يقدر أن يمنعهم من فسق يرتكبونه وكانوا ويجبون المارة في الطريق والسفن ، ويأخذون الأجور على خفارة المنازل ، ويقطعون الطريق علانيةً ولا أحد عليهم ، وكان الناس منهم في بلاءٍ عظيم))[2] .

ولكن مع هذه التصرفات المخالفة لكل مقاييس التقدم الحضاري ومفاهيم الشريعة الإسلامية السمحاء ، إلا أنهم أثبتوا عربوتهم عندما وقفوا إلى جانب الأمير في الحرب التي وقعت بينه وبين أخيه المأمون[3].

---

[1] تاريخ الرسل والملوك، الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت ، 310هـ ، تح : محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، 10 أجزاء ، (مصر ، 1960 – 1966) ، 8 / ص156 ، 165 ، 190 ، 545 .

[2] التاريخ العباسي والحضاري ، أيوب ، إبراهيم ، دار الكتاب العالمي ، ط1 ، (بيروت ، 1989) ، ص ، 97

[3] حكايات الشطار والعيارين ، النجار ، محمد رجب ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1969) ، ص 78 – 79 .

الخاتمة

1- أن انفصال الولايات وأثرها الاقتصادي على واردات الدولة ، فقد اعتمدت الدولة في إيراداتها بشكل أساسي على الضرائب.

2- أن الكوارث الطبيعية كان لها الأثر البالغ في الحياة الاقتصادية إذ أدت إلى قلة الإنتاج ، وانخفاض مستوى المعيشة وارتفاع الأسعار.

3- أن الواقع الاقتصادي أو الفساد الإداري الضارب في جميع مفاصل الدولة ، حيث بدأت الخلافة عاجزة عن توفير الأموال اللازمة لإدامة الجيش.

4- أن المجتمع العباسي بشكل عام والمجتمع البغدادي بشكل خاص لم يكن يمثل نسيجا اجتماعياً موحداً ومتماسكاً.

5- أن حكومة الخلفاء المتعاقبة لم تستطع إذابة الفوارق الطبيعية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية.

6- اضمحلال وضمور الجيش العباسي الذي يعتمد بالأساس على الشعب بمختلف مكوناته وأعراقه وأديانه، وهذا ما تبينت ملامحه الرئيسية أبان الغزو المغولى لدار الخلافة.

المصادروالمراجع

1. البداية والنهاية في التاريخ ،ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت 774هـ) ، ، مطبعة السعادة (القاهرة ، 1932) .
2. التاريخ العباسي والحضاري ،أيوب ، إبراهيم ، دار الكتاب العالمي ، ط1 ، (بيروت ، 1989) .
3. التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ،اشتور ، تر : عبدالهادي عبله ، مراجعة : غسان ساتو ، دار قتيبة ، (دمشق ، 1985) .
4. الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ،ابن الساعدي ، علي بن أنجب البغدادي ، (ت674هـ) ، ، تحقيق : مصطفى جواد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية (بغداد ، 1934) ،
5. الحالة الاقتصادية ، الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الأليخاني ،الفيل ، محمد رشيد ، ، مجلة كلية الآداب ، ع6 ، (بغداد ، 1963) .
6. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائدة السابعة ، ابن الفوطي 9 / 186 ،أبو الفضل عبدالرزاق البغدادي ، (ت ، 723هـ) ، ، تص وتع : مصطفى جواد ، مطبعة الفرات (بغداد ، 1351هـ) .

7. الحياة السياسية في العراق ، في العراق في العصر العباسي الأخير 512-656هـ / 1118هـ – 1258م ،القزاز ن محمد صالح داود.
8. السعير في خبر من غبر ،الذهبي ، تح : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت ، 1963) .
9. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ،الغساني ، الأشرف عماد الدين أبو العباس اسماعيل (ت 803هـ) ، ، تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم ، دار البيان (بغداد ، 1975) .
10. الفيضانات وغرق بغداد في العصر العباسي ،السرخس ، شمس الدين ، (ت 483هـ) ، المبسوط ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1324هـ .
11. الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت 630هـ) ، دار صادر (بيروت ، 1965-1966) .
12. الأجور والرواتب في العصر العباسي ،نوري ، دريد عبدالقادر ، ، مجلة المؤرخ العربي ، 324 ، (بغداد ، 1987) .
13. الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ) ، ، نشر : مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، ط3 ، (القاهرة ، 1973) .
14. الأوضاع الاقتصادية للعراق وأثرها في انهيار الخلافة ، العباسية ، صالح ، خالد يوسف ، / 575 – 656هـ / 1179 – 1258م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية جامعة الموصل ، (الموصل ، 2005)
15. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبو الحسن ، (ت ، 597هـ) ، ، حيدر آباد الدكن (الهند ، 1959) .
16. النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ،ابن دحية ، بن أبو علي الحسن بن علي (ت 633هـ) ، مطبعة المعارف (بغداد ، 1946) .
17. النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ،ابن تغري ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، (ت ، 874هـ) ، ، 12 جزء ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، د ت) .
18. تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، 552 – 656هـ ،فهد ، بدري محمد ، / 1157 – 1258م ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، 1973) .
19. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ،الفوطي ، ، تح : مصطفى جواد ، (دمشق ، 1962 – 1963) ، ق2 ، 4 .
20. (تاريخ ابن خلدون) المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ،ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، (ت ، 808هـ) ، ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، 1958)
21. تاريخ ابن الوردي ،ابن الكازروني ، مختصر ، ص270 ؛ ابن الوردي ، أبو حفص زين الدين عمر بن المظفر ، (ت ، 794هـ) ، المطبعة الوجيهية ، (القاهرة ، 1258هـ) ، 2 / ص280
22. تاريخ الرسل والملوك ،الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت ، 310هـ) ، تح : محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، 10 أجزاء ، (مصر ، 1960 – 1966) .

23. تاريخ العراق الاقتصادي ، في القرن الرابع الهجري ، الدوري ، عبدالعزيز عبد الكريم ، ، دار المشرق ، ط2 ، (بيروت ، 1974).
24. جامع التواريخ ، رشيد الدين ، فضل الله أبو الخير عماد الدولة الهمذاني ، (ت ، 718هـ) ، تر: محمد صادق نشأت وآخرون، مطبعة عيسى البابي الحلبي(القاهرة،1960)، مج2 ، ط1.
25. حكايات الشطار والعيارين ،النجار ، محمد رجب ، ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1969)
26. حوادث بغداد في 12 قرن ،الورد ، باقر أمين ، ، مكتبة النهضة ، (بغداد ، 1989) .
27. خلاصة الذهب المسبوك مختصر سير الملوك ،الأربلي ، عبدالرحمن سنيط قنيتو (ت ، 717هـ) ، ، تص : مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، 1964) .
28. دول الإسلام ،الذهبي ، الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ، (ت748هـ) ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب (مصر ، 1974) .
29. رحلة ابن جبير ، ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ، (ت ، 614هـ) ، دار صادر (بيروت ، 1964) .
30. صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ، 821هـ) ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1987) .
31. طبقات الشافعية الكبرى ،السبكي ، تاج الدين ابو نصر ، (ت 771هـ) ، تح : محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (دمشق ، 1970) .
32. عصر الشرابي ببغداد ،معروف ، ناجي ، ، مجلة الأقلام ، وزارة الثقافة والارشاد ، السنة الثالثة ، ط1 ، (بغداد ، 1966) .
33. عيون التواريخ ،الكتبي ، أبو شاكر محمد بن أحمد (ت ، 764هـ) ، ، تحقيق : فيصل السامر و نبيلة عبد المنعم داود ، دار الحرية (بغداد 1977)
34. فيضانات بغداد في التاريخ ، سوسة ، أحمد ، ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج 10 ، (بغداد ، 1963) .
35. محنة الإسلام الكبرى ، أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على يد المغول ،بدر مصطفى طه ، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 ، (القاهرة ، 1999) .
36. مختصر التاريخ (من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس) ،ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت 697) ، ، تح : مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، 1970) .
37. مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ،ابن عبد حق البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن ، (ت ، 739هـ) ، ، تح : علي محمد البجاوي ، (مصر ، 1954) .
38. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ،الغزالي ، أبو حامد محمد بن حامد ، (ت 505هـ) ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، 1951-1953 ، ق1 .

39. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، حيدر آباد الدكن ، سبط ابن الجوزي ، أبو المظفر شمس الدين بن قزأ وعلي ، (ت 654هـ) ، ، (الهند 1951 – 1953) ، ق1 .

40. معجم البلدان ،ياقوت الحموي ، الإمام شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله البغدادي ، (ت ، 626هـ) ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت ، 1975) .

41. نهاية الإرب في فنون الأدب ،النويري ، شعاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت 732هـ) ، ، دار الكتب المصرية (القاهرة 1949)

SOURCES & REFERENCES

1. The Beginning and the End in History, Ibn Kathir, Imad al-Din Ismail bin Omar (d. 774 AH), Al-Saada Press (Cairo, 1932)
2. Abbasid and Civilized History, Ayoub, Ibrahim, International Book House, 1st edition, (Beirut, 1989)
3. The Economic and Social History of the Middle East in the Middle Ages, Ashtur, Trans.: Abdul Hadi Abla, Reviewed by: Ghassan Sato, Dar Qutaiba, (Damascus, 1985)
4. Al-Jami' al-Mukhtasar fi Title al-Tawarikh wa Uyun al-Sir, Ibn al-Saadi, Ali bin Anjab al-Baghdadi, (d. 674 AH), edited by: Mustafa Jawad, Syriac Catholic Press (Baghdad, 1934)
5. The economic situation, the economic situation of the city of Baghdad during the Ilkhanid rule, Al-Fil, Muhammad Rashid, Journal of the College of Arts, No. 6, (Baghdad, 1963)
6. The comprehensive incidents and beneficial experiences in the Seventh Table, Ibn al-Futi 9/186, Abu al-Fadl Abd al-Razzaq al-Baghdadi, (d. 723 AH), edited and published by: Mustafa Jawad, al-Furat Press (Baghdad, 1351 AH).
7. Political life in Iraq, in Iraq in the last Abbasid era 512-656 AH / 1118 AH - 1258 AD, Al-Qazzaz N. Muhammad Saleh Daoud .
8. Al-Sa'ir fi Khabar Min Gharb, Al-Dhahabi, ed.: Salah al-Din al-Munajjid, Kuwait Government Press, (Kuwait, 1963)
9. Cast iron and woven jewels in the layers of caliphs and kings, Al-Ghassani, Al-Ashraf Imad Al-Din Abu Al-Abbas Ismail (d. 803 AH), edited by: Shaker Mahmoud Abdel Moneim, Dar Al-Bayan (Baghdad, 1975)
10. Floods and the drowning of Baghdad in the Abbasid era, Al-Sarkhas, Shams al-Din, (d. 483 AH), Al-Mabsut, Al-Saada Press, Egypt, 1324 AH .
11. Al-Kamil fi al-Tarikh, Ibn al-Atheer, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali bin Muhammad bin Abdul Karim al-Jazari (d. 630 AH), Dar Sader (Beirut, 1965-1966)
12. Wages and salaries in the Abbasid era, Nouri, Duraid Abdul Qadir, Arab Historian Magazine, 324, (Baghdad, 1987)
13. Royal rulings and religious states, Al-Mawardi, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Habib (d. 450 AH), published by: Al-Babi Al-Halabi Library and Press, 3rd edition, (Cairo, 1973)

14. The economic conditions of Iraq and their impact on the collapse of the Caliphate, Al-Abbasid, Saleh, Khaled Yusuf, / 575 - 656 AH / 1179 - 1258 AD, unpublished doctoral thesis, College of Education, University of Mosul,(Mosul, 2005).
15. Al-Muntazim in the History of Kings and Nations, Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Abu al-Hasan, (d. 597 AH), Hyderabad Deccan (India, 1959)
16. Al-Nibras in the History of the Caliphs of Banu Abbas, Ibn Dahiya, Ibn Abu Ali Al-Hasan Ibn Ali (d. 633 AH), Al-Ma'arif Press (Baghdad, 1946).
17. The Bright Stars in the News of Egypt and Cairo, Ibn Taghri, Jamal al-Din Abu al-Mahasin Yusuf al-Atabaki, (d. 874 AH), 12 parts, Dar al-Kutub al-Misriyah, (Cairo, d.d)
18. The History of Iraq in the Last Abbasid Era, 552-656 AH, Fahd, Badri Muhammad, / 1157-1258 AD, Al-Irshad Press, (Baghdad, 1973)
19. Summary of the Academy of Arts in the Dictionary of Titles, Al-Futi, ed.: Mustafa Jawad, (Damascus, 1962-1963), vol. 2, 4 .
20. The History of Ibn Khaldun), known as the Lessons and the Diwan of the Beginning and the News in the Days of the Arabs, Persians, and Berbers, Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad, (d. 808 AH), Lebanese Book House, (Beirut, 1958)
21. History of Ibn al-Wardi, Ibn al-Kazrouni, brief, p. 270; Ibn al-Wardi, Abu Hafs Zain al-Din Omar bin al-Muzaffar, (d. 794 AH), Al-Wahiyya Press, (Cairo, 1258 AH), 2/p. 280
22. The History of the Messengers and Kings, Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir, (d. 310 AH), edited by: Muhammad Abu Al-Fadl, Dar Al-Ma'arif, 10 parts, (Egypt, 1960 – 1966)
23. The economic history of Iraq, in the fourth century AH, Al-Duri, Abdul Aziz Abdul Karim, Dar Al-Mashreq, 2nd edition (Beirut, 1974)
24. Jami' al-Tawarikh, Rashid al-Din, Fadlallah Abu al-Khair Imad al-Dawla al-Hamdhani, (d. 718 AH), translated by: Muhammad Sadiq Nashaat et al., Issa al-Babi al-Halabi Press (Cairo, 1960), vol. 2, 1st edition .
25. Tales of Al-Shattar and Al-Ayyarin, Al-Najjar, Muhammad Rajab, Dar Al-Ilm Lil Al-Millain, (Beirut, 1969)
26. Incidents in Baghdad in the 12th century, Al-Ward, Baqir Amin, Al-Nahda Library, (Baghdad, 1989
27. A summary of cast gold, a summary of the lives of kings, Al-Arbali, Abdul Rahman Sunait Qanito (d. 717 AH), published by: Makki Al-Sayyid Jassim, Al-Muthanna Library, (Baghdad, 1964)
28. Countries of Islam, Al-Dhahabi, Al-Hafiz Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad, (d. 748 AH), edited by: Fahim Muhammad Shaltout, and Muhammad Mustafa Ibrahim, Egyptian Book Authority (Egypt, 1974)
29. The Journey of Ibn Jubayr, Ibn Jubayr, Abu Al-Hasan Muhammad bin Ahmad Al-Kinani Al-Andalusi, (d. 614 AH), Dar Sader (Beirut, 1964)
30. Subh al-A'sha fi Sina' al-Ansha, Abu al-Abbas Ahmad bin Ali (d. 821 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (Beirut, 1987)
31. The Great Shafi'i Classes, Al-Subki, Taj al-Din Abu Nasr, (d. 771 AH), edited by: Mahmoud al-Tanahi and Abd al-Fattah Muhammad al-Helu, Issa al-Babi al-Halabi Press, (Damascus, 1970)

32. Asr Al-Sharabi in Baghdad, Marouf, Naji, Al-Aqlam Magazine, Ministry of Culture and Guidance, third year, 1st edition, (Baghdad, 1966)
33. Eyes of History, Al-Kutbi, Abu Shaker Muhammad bin Ahmed (d. 764 AH), edited by: Faisal Al-Samer and Nabila Abdel Moneim Daoud, Dar Al-Hurriya (Baghdad 1977)
34. Baghdad Floods in History, Sousse, Ahmed, Journal of the Iraqi Scientific Academy, Volume 10, (Baghdad, 1963)
35. The Great Tribulation of Islam, or the Demise of the Abbasid Caliphate from Baghdad at the Hands of the Mongols, Badr Mustafa Taha, Egyptian General Book Authority, 2nd edition (Cairo, 1999)
36. Brief history (from the beginning of time to the end of the state of Bani Abbas), Ibn Al-Kazrouni, Zahir al-Din Ali bin Muhammad al-Baghdadi (d. 697), ed.: Mustafa Jawad, Government Press, (Baghdad, 1970)
37. Observatories for viewing the names of places and places, Ibn Abd Haqq al-Baghdadi, Safi al-Din Abd al-Mu'min, (d. 739 AH), edited by: Ali Muhammad al-Bajjawi, (Egypt, 1954)
38. The Mirror of Time in the History of Notables, Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad bin Hamid, (d. 505 AH), Hyderabad Deccan, India, 1951-1953, 1st edition
39. Mirror of Time in the History of Notables, Hyderabad Deccan, the tribe of Ibn al-Jawzi, Abu al-Muzaffar Shams al-Din bin Qazza and Ali, (d. 654 AH), (India 1951-1953), 1st edition .
40. Dictionary of Countries, Yaqut al-Hamawi, Imam Shihab al-Din Abu Abdullah bin Abdullah al-Baghdadi, (d. 626 AH), Dar Sader, Dar Beirut, (Beirut, 1975)
41. Nihayat al-Arb fi Arts al-Literature, Al-Nuwairi, Sha'ab al-Din Ahmad ibn Abd al-Wahhab (d. 732 AH), Dar al-Kutub al-Misriyah (Cairo 1949) .